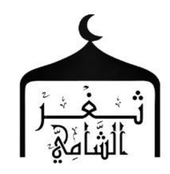
النعيم المقيم

سلسلة مقالات صادرة عن صحيفة النبأ
التابعة للدولة الإسلامية




بسم الله الرحمن الرحيم

النعيـم المقيـم

سلسلة مقالات صادرة عن صحيفة النبأ
التابعة للدولة الإسلامية

جمع وترتيب

ثغر الشامي - عفا الله عنه -

الطبعة الأولى

٢٠٢٤م - ١٤٤٦هـ

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين الذي جعل الجنة بعد رضاه غاية المؤمنين، فإليها يسعون، ولها يعملون، وفيها يحيون، ولأجلها يَقتلون ويُقتلون، فهي المهر لأغلى ما يملكون، ولأجلها يتحملون المشاق في سبيله سبحانه، إذ هي دار النعيم المقيم، والخلد الدائم والفضل العظيم، جعل فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر؛ ليشمر عن ساعد الجد المؤمنون، ويرجع إلى سبيله الغافلون، والصلاة والسلام على النبي الكريم وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فهذه سلسلة طيبة مباركة صدرت عن صحيفة النبأ؛ تشوق فيها الموحدين للنعيم المقيم، وتحثهم على المسارعة لدار الخلد التي أعدها الله لعباده المؤمنين، عملت على جمعها وترتيبها ليعم النفع بها، ويسهل تناولها، سائلًا المولى سبحانه أن يبارك في هذا العمل..

والحمد لله رب العالمين.

كتبه: ثغر الشامي

فصل [١]

-التشويق للجنة- [٢]

الحمد لله الذي جعل الجنة أجرًا للعاملين، ودارًا للمتقين، والصلاة والسلام على قائد الغر المحجّلين نبينا محم،د وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن رمُتَ حديثًا شيّقًا يأسر القلوب قبل الأسماع، ويأخذ بالألباب قبل العيون، فإنه الحديث عن دار الغرام، إنها منتهى السعادة وعنوانها، هي أمل الصالحين، ولا يدخلها إلا الفائزون، إنها مقعد الصدق، ودار السلام والحُسنى، والنعيم المقيم، التي لا كدر فيها ولا نهاية ولا نقص، أتدري ما مُلْكها وما فيها؟! إنّ ملكها كبير، وخدمها كثير، وجمال حورها مُبهِرٌ مُثير، حصباؤها اللؤلؤ، وترابها المسك، وأغصان شجرها الذهب، وفرشها أرائك عالية، فواكهها كثيرة، لا مقطوعة ولا ممنوعة، خازنها رضوان، وبانيها الرحمن، وما عسى يبني الرحمن إلا ما يُذهل الأذهان! وحسبك!

١- (فصل) زيادة ليست في الأصل.

٢- العدد ٣٧٤

إنّ ذكْر الجنة يهوّن على رهبان الليل طول القيام، ويُجري عيونهم بدموع الخشية والإخبات، ويروي ظمأ الصائمين، ويهيّج المجاهدين إلى سكب الدماء الطاهرة وإلقاء الأجساد الطيبة في المعامع والحتوف، لتطير الأرواح إلى بلاد الأفراح.

ويكفي في ذكْر الجنة أنه يرفّع القلوب عن الدنيا ودناياها، ويحثّ الخطا نحو العُلا ليشمّر المؤمن وينتصر على نفسه وكسلها وتوانيها وتسويفها، فتراه نخلة في بستان العبادات، يصعد على سُحب الصعود بهمة لمهام الدين، وصبر على اللأواء بيقين، ولأهل الجهاد خصيصة التذكير؛ فهم الخُطّاب للحور، وهم العاقدون تجارة لن تبور.

وسنشرع في كتاب [١] "النعيم المقيم" لنتشوّق ونشوّق المؤمنين إلى الجنة بذكْر أخبارها، والتعرف على أبوابها ودورها وصفة أهلها فيها وطعامها وحُللها وغيره إن شاء الله تعالى.

١- في الأصل (سلسلة).

❑ استبقوا.. سابقوا.. سارعوا

لقد شوَّقَ الله تعالى عباده للجنة بأساليب عديدة، منها حثّهم على المسارعة والمسابقة والمنافسة على الأعمال المفضية إليها، فقال الله تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾[البقرة]، وقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[آل عمران]، وقال تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾[الحديد]، وقال تعالى: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾.[المطففين]

إذن فالجنة تُنال بالمسارعة والمبادرة إلى الخيرات والطاعات، تُنال بالتنافس والتعب، لا بالدعة وراحة الجسد، وقد ناداهم الله بالمسارعة والمسابقة لِسُمُو المقام وقِصَر الأيام، لأن التباطؤ مَزَّلة وعرضة للفوات، ومن خاف العقاب وطلب الثواب أسرع وسابق، لقول النبي ﷺ: ((مَن خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة))[الترمذي]، قال المنذري: "وَمعنى الحَدِيث: أَنّ مَن خَافَ ألزمهُ الْخَوْف إِلَى السلوك إِلَى الْآخِرَة، والمبادرة بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَة، خوفًا من القواطع والعوائق".[الترغيب والترهيب]

وفي ذلك قال ابن القيم:

يَا خَاطِبَ الحُورِ الحِسَانِ وَطَالِبًا ... لِوِصَالِهِنَّ بِجَنَّةِ الحَيَوانِ
لَو كُنْتَ تَدْرِي مَن خَطَبْتَ وَمَن طَلَبـ ... ـتَ بَذَلْتَ ما تَحْوِي مِنَ الأَثْمَانِ
أَوْ كُنْتَ تَدْرِي أَيْنَ مَسْكَنُهَا جَعَلْـ ... ـتَ السَّعْيَ مِنْكَ لَهَا عَلَى الأَجْفانِ
وَلَقَدْ وَصَفْتُ طَرِيْقَ مَسْكَنِهَا فإِنْ ... رُمْتَ الوِصَالَ فلا تَكُنْ بالوَانِي
أَسْرِعْ وَحُثَّ السَيْرَ جَهْدَكَ إِنَّمَا ... مَسْرَاكَ هَذَا سَاعَةً لِزَمانِ

❑ الفوز العظيم

كما شوّقَ اللهُ عباده إلى الجنة؛ بجعلها الفوز والظفر الحقيقي، فكل نفس أبية تطمع وتطمح للفوز والفلاح، وكل عامل يُحب أن يُجازى على عمله خيرًا، ويرجو في السباق أن يكون فائزا، والعاقل من شعر أنه على سباق في الدنيا، فعمل للفوز، وقد أخبرنا القرآن مَن هو الفائز، فقال تعالى: ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[آل عمران]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾.[الأحزاب]

وسمّى الله الجنة فوزًا عظيمًا في كثير من آيات القرآن، منها قوله عز وجل في حق الشهداء الذين يُقتلون في سبيله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾[التوبة]، غير أنه زادهم هنا بتأكيد فوزهم بمؤكّدات فقال تعالى: ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾، ثم بشّرهم فقال: ﴿فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ﴾، ثم أكّد الفوز مرة أخرى فقال: ﴿وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾، وكل ذلك تشريفًا لمقام الشهداء المجاهدين في سبيل الله، فطوبى لمن فاز وبُشرى لمن حاز.

وذكر الله فوزًا كبيرًا لمن قتل فداءً لهذا الدين وثبت عليه ولم يرَ بعينه نصرًا، وهم أصحاب الأخدود ومن على شاكلتهم رحمهم الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾[البروج]، فالجنة فوز عظيم وكبير، وهذه حجة على أهل الدنيا الذين لا يرون فوزًا إلا بنيل حطامها الزائل، وقالوا فيمن يُقتل في سبيل الله: "ماذا استفادوا؟" وأي فائدة أعظم من الفوز الكبير بالنعيم المقيم الذي لا ينقضي ولا ينقطع؟!

❑ حسن الثواب

ومِن التشويق للجنة ما يذكره الله أنّ الجنة أحسن ما يُثاب عليه المؤمنون الذين هاجروا وجاهدوا ولقوا أنواع الأذى في سبيل الله ثم ختموا حياتهم بالقتال والقتل في سبيل الله، فقال سبحانه: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾.[آل عمران]

فكم مِن قاعد محروم من هذا الثواب وهذا الوعد الإلهي، ما وجد في دينه عناء ولا أذى ولا شدة ولا جوعًا في ذات الله، فيا ضيعة الأعمار تمشي سبهللا!!

❑ خيرٌ وأبقى

ومما يشوّق للجنة أنْ يعلم المؤمن أنها هي الباقية، وأن الدنيا بكل ما فيها فانية زائلة، قال الله تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۝

وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾.[الأعلى]، قال ابن كثير: "أي: ثواب الله في الدار الآخرة خير من الدنيا وأبقى، فإن الدنيا دنية فانية، والآخرة شريفة باقية، فكيف يؤثر عاقل ما يفنى على ما يبقى، ويهتم بما يزول عنه قريبا، ويترك الاهتمام بدار البقاء والخلد؟!".[التفسير]

ويحكي لنا القرآن كيف حفّز الله نفرًا من المسلمين في بداية الإسلام لما فُرض عليهم الجهاد؛ "جزع بعضهم منه وخافوا من مواجهة الناس خوفًا شديدًا"، وفي ذلك قال تعالى: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾، فكان العلاج الإلهي لهذه الحالة هو بيان حقيقة الدنيا ومتاعها الزائل مقارنة بنعيم الآخرة المقيم، فقال تعالى: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾[النساء]، قال ابن كثير: "أي: آخرة المتقي خير من دنياه.

ولا تُظلمون فتيلًا من أعمالكم، بل توفونها أتم الجزاء، وهذه تسلية لهم عن الدنيا، وترغيب لهم في الآخرة، وتحريض لهم على الجهاد".

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[التوبة]

قال الطبري: "أرضيتم بحظ الدنيا والدّعة فيها، عوضًا من نعيم الآخرة، وما عند الله للمتقين في جنانه؟!، (فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة)، أي: فما الذي يستمتع به المتمتعون في الدنيا من عيشها ولذَّاتها في نعيم الآخرة والكرامة التي أعدَّها الله لأوليائه وأهل طاعته؛ إلا يسير".

❑ مَواطن الجنة

والمشتاق إلى الجنة يقصدها في مواطنها، ويأتي راغبًا بها حريصًا عليها، ومِن مواطن الجنة الجهاد في سبيل الله تعالى، ومن ذلك ما رواه الترمذي عن أبي موسى الأشعري –رضي الله عنه– أنه قال بحضرة العدو: قال رسول الله ﷺ: ((إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف))، فقال رجل من القوم رثّ الهيئة: أأنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ يذكره؟ قال: نعم، فرجع إلى أصحابه فقال: أقرأ عليكم السلام، وكسر جفن سيفه فضرب به حتى قُتل".

ومواطن الجنة كثيرة معروفة لمن طلبها، ولها رياض في الدنيا احرص على أن لا تفوتك أخي المسلم، كما في قوله ﷺ: ((إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قالوا: وما رياض الجنة؟ قال حِلَق الذِّكر)).[الترمذي]

ومِن أهم مواطن الجنة مخالفة هوى النفس، وهذا لا يتفطّن له إلا القليل، لقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾[النازعات]، وقال النبي ﷺ: ((حُفت الجنة بالمكاره، وحُفت النار بالشهوات))[مسلم]، فمن خالف نفسه هواها، وألزمها سبيل ربها وهدي نبيّها؛ وحملها على ما تكره، فقد سلك طريق الجنة بإذن الله تعالى.

❑ أين المشمرون؟

وكان من هدي النبي ﷺ تشجيع أصحابه لنيل الجنة، ودعوتهم للتشمير لها حتى في أحلك الظروف، كما في غزوة الأحزاب التي اجتمع فيها على المسلمين أشد أنواع البلاء من الخوف والجوع والحصار والبرد وغيرها، وهنا يقول النبي ﷺ لأصحابه: ((أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ

جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِي يَومَ القِيَامَةِ؟)) [مسلم]، يعني من يأتينا بخبر العدو ويكون رفيقي في الجنة، فقام لها حذيفة بن اليمان -رضي الله عنه-.

ومن ذلك ما رواه أسامة بن زيد -رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ قال ذات يوم لأصحابه: ((ألا مشمر للجنة؟ فإن الجنة لا خطر لها، هي وربِّ الكعبة نور يتلألأ، وريحانة تهتز، وقصر مشيد، ونهر مطرد، وفاكهة كثيرة نضيجة، وزوجة حسناء جميلة، وحلل كثيرة في مقام أبدا، في حبرة ونضرة، في دار عالية سليمة بهية، قالوا: نحن المشمرون لها يا رسول الله، قال: قولوا: إن شاء الله)) ثم ذكر الجهاد وحضّ عليه.[ابن ماجه]

وبعد أخي المسلم، فمهما توسّعَ المتوسعون وأطْنَب المطنبون في وصف الجنة وتخيُّل ما فيها، فلن يدركوا ما فيها من النعيم الذي وصفه الله تعالى في الحديث القدسي على لسان نبيه محمد ﷺ: ((قال الله: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر)).[متفق عليه]، فهذه هي الجنة لا سبيل لإدراك نعيمها إلا بالتشمير لنيلها ودخولها، فأين المشمرون؟!

اللهم ارزقنا الفردوس الأعلى من الجنة ووفقنا لعمل أهل الجنة وأدخلنا الجنة مع الأبرار.

فصل

-دخول الجنة-[١]

هنيئًا للداخلين وطوبى لوفد المتقين، ما أعظم تلك اللحظات التي انتظرها المؤمن طيلة حياة الدنيا والبرزخ ويوم العرض، إنها المحطة الأخيرة حيث المستقر النهائي، حيث دارنا الأولى، بذلك الدخول تنتهي كلُّ الهموم وتُؤْمَن كلُّ المخاوف، ما أشد شوق الأذن لسماع ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾، ولئن كان السلام يأخذ بالقلوب، فبشرى الخلود تمام السلام وسكون الأفئدة والأركان، كيف سيدخلون ومَن يستقبلهم وبأي كلمات يُرحّب بهم وما مراكبهم في مواكبهم؟ هذا ما سنعرفه عن أهل الجنة في هذا الفصل[٢] إن شاء الله تعالى.[٣]

١- العدد ٣٧٥

٢- في الأصل: "في هذا المقال إن شاء الله تعالى".

٣- قمت بحذف جميع مقدمات الأعداد عدا العدد الأول.

أبواب الجنة

قال الله تعالى واصفًا حال دخول المتقين للجنة: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾[الزمر]، قال ابن كثير رحمه الله: "أي: جماعة بعد جماعة: المقربون، ثم الأبرار، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم كل طائفة مع من يناسبهم: الأنبياء مع الأنبياء والصديقون مع أشكالهم، والشهداء مع أضرابهم، والعلماء مع أقرانهم، وكل صنف مع صنف، كل زمرة تناسب بعضها بعضًا". [التفسير]

فإلى دار الكرامة يدخل أكرم الناس على الله الأول فالأول، وفي يوم القيامة يظهر فضل نبينا ﷺ على سائر الخلق، فهو صاحب الشفاعة والحوض، وأول من يقرع باب الجنة فيؤذن له بعد تشاور الناس فيمن يستأذن لهم في الدخول، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: ((آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح، فيقول الخازن: مَن أنت؟ فأقول محمد، فيقول بك أُمرت لا أفتح لأحد قبلك))[مسلم]، وعنه أيضًا عن النبي ﷺ قال: ((أنا أكثر الأنبياء تبعا يوم القيامة، وأنا أول من يقرع باب الجنة)). [مسلم]

ثم بعد دخوله ﷺ تدخل خير الأمم وأكرمها على الله، إنها الأمة المرحومة أمة محمد ﷺ التي لم تبدل ولم تغيّر، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((نَحْنُ الآخِرُونَ الأَوَّلُونَ يومَ القِيَامَةِ، وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ))[متفق عليه]، قال النووي رحمه الله في شرح الحديث: "قال العلماء: معناه الآخِرون في الزمان والوجود، السابقون بالفضل ودخول الجنة، فتدخل هذه الأمة الجنة قبل سائر الأمم".[شرح مسلم]

وقد تحدثت السنة الصحيحة عن سعة أبواب الجنة، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال: ((وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ لَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرٍ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى))[متفق عليه]، قال النووي: "المصراعان هما: جانبا الباب"، فإن كانت هذه سعة أبواب الجنة فكيف بسعتها هي؟!

وللجنة ثمانية أبواب كما جاء ذلك عن النبي ﷺ أنه قَالَ: ((فِي الجَنَّةِ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ، فِيهَا بَابٌ يُسَمَّى الرَّيَّانَ، لاَ يَدْخُلُهُ إِلَّا الصَّائِمُونَ))[البخاري]، وفي حديث غيره قال النبي ﷺ: ((... فمَن كانَ مِن أهْلِ الصَّلاةِ، دُعِيَ مِن بابِ الصَّلاةِ، ومَن كانَ مِن أهْلِ الجِهادِ، دُعِيَ مِن بابِ الجِهادِ، ومَن كانَ مِن أهْلِ الصَّدَقَةِ، دُعِيَ مِن بابِ الصَّدَقَةِ، ومَن كانَ مِن أهْلِ الصِّيامِ، دُعِيَ مِن بابِ الرَّيّانِ))[متفق عليه]

وأعلاها باب الجهاد، فهنيئًا للمجاهدين الذين سهرت عيونهم وتخضّبت نحورهم بدمائهم وكابدوا الصعاب لإقامة شرع الله تعالى، أولئك الأعلون، قال ابن القيم:

أَبْوَابُهَـــا حَـــقٌّ ثَمَانِيَـــةٌ أَتَـــتْ ... فِي النَّصِّ وَهْيَ لِصَاحِبِ الإحْسَانِ
بَابُ الجِهَـــادِ وَذَاكَ أَعْلَاهَـــا وبَا ... بُ الصَّوْمِ يُدْعَى البَابُ بالرَّيَّانِ
وَلِكُـلِّ سَـعْيٍ صـالِحٍ بَابٌ وَرَبُّ ... السَّـعْيِ مِنْـهُ دَاخِـلٌ بأَمَـانِ

وإن أول زمرة تدخل الجنة –جعلنا الله وإياكم منهم– جاءت صفتهم في حديث النبي ﷺ حيث قال: ((أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر، لا يبصقون فيها ولا يمتخطون ولا يتغوطون، آنيتهم فيها الذهب، أمشاطهم من الذهب والفضة، ومجامرهم الألوة –أي بخورهم من العود–، ورشحهم –أي عرقهم– المسك، ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم قلب واحد يسبحون الله بكرة وعشيا)).[متفق عليه]

ويسبق فقراء المهاجرين غيرهم إلى الجنة، قال رسول الله ﷺ: ((إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة بأربعين خريفًا)).[مسلم]، قال ابن تيمية رحمه الله: "فالفقراء متقدمون في دخول الجنة لخفة الحساب

عليهم، والأغنياء مؤخّرون لأجل الحساب..."[مجموع الفتاوى]، ولا شك أن ذلك يكون لمن صبر على الفقر واحتسب ورضي بقضاء الله وقدره، فطوبى لمن خفّ في الدنيا عن أحمالها.

وأما في مراكبهم إلى جنانهم فقد أخبرنا الله تعالى عن ذلك الموكب، فقال سبحانه: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾[مريم]، قال ابن كثير: "يخبر تعالى عن أوليائه المتقين.. أنه يحشرهم يوم القيامة وفدًا إليه، والوفد: هم القادمون ركبانًا، ومنه الوفود، وركوبهم على نجائب من نور، من مراكب الدار الآخرة، وهم قادمون على خير موفود إليه، إلى دار كرامته ورضوانه".[التفسير]

❑ ضيافتهم واستقبالهم

وأول شيء يُضيّف عليه أهل الجنة هو زيادة كبد الحوت، ثم يُنحر لهم ثور الجنة، روى مسلم في صحيحه عن ثوبان رضي الله عنه، أن يهوديًا سأل النبي ﷺ في حديث طويل قال: "فمَن أول الناس إجازة يوم القيامة؟ قال: ((فقراء المهاجرين))، قال اليهودي: فما تحفتهم حين يدخلون الجنة؟ قال: ((زيادة كبد النون)) قال: فما غذاؤهم على أثرها؟

قال: ((ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها))، قال: فما شرابهم؟ قال: ((من عين فيها تسمى سلسبيلا)) قال: صدقت".

وإن أهل الجنة ليعرفون بيوتهم بدون دليل، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ۝ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾[محمد]، قال الطبري في تفسيره: "قال مجاهد: يهتدي أهلها إلى بيوتهم ومساكنهم، وحيث قسم الله لهم لا يخطئون، كأنهم سكانها منذ خلقوا لا يستدلون عليها أحدًا... وقال ابن زيد: بلغنا عن غير واحد قال: يدخل أهل الجنة الجنة، ولهم أعرف بمنازلهم فيها من منازلهم في الدنيا التي يختلفون إليها في عمر الدنيا".[تفسير الطبري]

وتحييهم الملائكة وترحب بهم بأحسن التهاني وأجمل العبارات، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾[الزمر]، قال ابن كثير: "أي: طابت أعمالكم وأقوالكم، وطاب سعيكم فطاب جزاؤكم، كما أمر رسول الله ﷺ أن ينادى بين المسلمين في بعض الغزوات: "إن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة" وفي رواية: مؤمنة، وقوله: ((فادخلوها خالدين)) أي: ماكثين فيها أبدًا، لا يبغون عنها حولًا".[التفسير]، ويقال لهم: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.[النحل]

وقال تعالى: ﴿وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ۝ سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾[الرعد] قال ابن كثير: "أي: وتدخل عليهم الملائكة من ها هنا وها هنا للتهنئة بدخول الجنة، فعند دخولهم إياها تفد عليهم الملائكة مسلّمين مهنئين لهم بما حصل لهم من الله من التقريب والإنعام، والإقامة في دار السلام، في جوار الصديقين والأنبياء والرسل الكرام". [التفسير]

فما أبهى هذا الاستقبال وذاك الاحتفاء، وما أجمل ذلك الدخول إلى النعيم المقيم، ألا إنه المِلك الذي لا يشبهه ملك الدنيا، فهل بعد هذا تؤثر الدنيا على الآخرة؟! وهل بعد هذا ستتأخر وتتقاعس عن أبواب الخير؟! فجُدّ أُخَيَّ فما بقي في العُمُر إلا اليسير.. فكن بهذي الحياة بصيرا.. عِشْ عَيْشَ من لا يؤمّل إلا الجنة أن يدخلها.

اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل، واجعلنا للفردوس من الوارثين، اللهم اختم لنا بالشهادة في سبيلك وأنت راضٍ عنا.

فصل

-درجات الجنة ومساكنها-[١]

فتلك الجنة التي أعدها الله لعباده المؤمنين، درجاتٌ بينها مفاوز، ومساكنُ لن تبلغها عقول العباد حتى تطأها أقدامُهم، إنها أُنشِئت للمحسنين، خَلْقُها بهي عظيم، وفُرُشها فرش النعيم، فلا تسل عن علوها وفخامتها ونعومتها، ولا عن فرح أهلها المستديم، ولا عن آنيتها الناصعة وعددها الوفير، فهو النعيم الأبقى، لينعم أهلها نعيمًا سرمديًا لا يفنى.. عن تلكم الأخبار نتكلم في هذا الفصل[٢] إن شاء الله تعالى.

❑ درجات الجنة

قال ربنا الكريم سبحانه: ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾[آل عمران]، وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[الأنفال]، فللجنة درجات عاليات متفاوتات بينها مفاوز بعيدة جدًا، وهذا من فضل الله، وهذا التفاوت في

١- العدد ٣٧٦

٢- في الأصل: "في هذا المقال إن شاء الله تعالى".

الدرجات قائم على التفاوت مع الأعمال والطاعات، قال تعالى: ﴿انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾[الإسراء]، قال الطبري: "يقول: وفريق مريد الآخرة أكبر في الدار الآخرة درجات بعضهم على بعض لتفاوت منازلهم بأعمالهم في الجنة، وأكبر تفضيلًا بتفضيل الله بعضهم على بعض من هؤلاء الفريق الآخرين في الدنيا فيما بسطنا لهم فيها". [التفسير]

وهي جنان عديدة فهذه جنة عدن وتلك جنة الفردوس وأخرى جنة النعيم، وهي أيضًا على منازل كلما ارتفعت وعلت كانت أعظم نعيمًا وأوسع فضلًا، فأعلاها منزلة الوسيلة، قال نبينا عليه الصلاة والسلام: ((... ثم سلوا الله لي الوسيلة؛ فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة))[مسلم]، ثم بعدها الفردوس يدخلها الوارثون، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[المؤمنون]، وقال نبينا ﷺ: ((إن في الجنة مئة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة، أراه فوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة)). [البخاري]

وتفاضُل أهل الجنة عظيم جدًا، قال رسول الله ﷺ: ((إن أهل الجنة ليتراءَون أهل الغرف من فوقهم كما تراءَون الكوكب الدري الغابر من الأفق من المشرق أو المغرب، لتفاضل ما بينهم، قالوا: يا رسول الله، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال: بلى، والذي نفسي بيده، رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين)).[متفق عليه]

❑ جنان الذهب والفضة

هل تفكّرت أخي المسلم أن تعيش في بيت كل ما فيه ذهب يتلألأ ويُبرِق، سقفه وأبوابه وكل شيء فيه، ذهب عن يمين وشمال، ومثله بيت فضة تدخل في فضة وتخرج في فضة..؟! فكيف لك بملك عظيم كله كذلك؟! قال رسول الله ﷺ: ((جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن)).[متفق عليه]

اللهم لا تحرمنا لذة النظر إلى وجهك الكريم.

ولأهل الخشية من الله تعالى جنتان عاليتان، قال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾[الرحمن]، وأقل منهما جنتان لمن هم أدنى منزلة في أنهارها وأشجارها وفواكهها وفرشها، قال ابن كثير: "وقال أبو موسى: جنتان من ذهب للمقربين، وجنتان من فضة لأصحاب اليمين". [التفسير]

وعن المغيرة بن شعبة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: ((سأل موسى ربّه، ما أدنى أهل الجنّة منزلة، قال: هو رجل يجيء بعدما أدخل أهل الجنّة الجنّة، فيقال له: ادخل الجنّة، فيقول: أي ربّ، كيف وقد نزل الناس منازلهم، وأخذوا أخذاتهم، فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل ملك ملك من ملوك الدّنيا؟ فيقول: رضيت ربّ، فيقول: لك ذلك، ومثله ومثله ومثله ومثله، فقال في الخامسة: رضيت ربّ، فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله، ولك ما اشتهت نفسك، ولذّت عينك، فيقول: رضيت ربّ، قال: ربّ، فأعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردت غرست كرامتهم بيدي، وختمت عليها، فلم تر عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب بشر، قال: ومصداقه في كتاب الله عزّ وجلّ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾)). [مسلم]

ومثله حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: ((إنّي لأعلم آخر أهل النّار خروجًا منها، وآخر أهل الجنّة دخولًا الجنّة رجل يخرج من النّار حبوًا، فيقول الله تبارك وتعالى له: اذهب فادخل الجنّة، فيأتيها فيخيّل إليه أنّها ملأى، فيرجع فيقول: يا ربّ، وجدتها ملأى، فيقول الله تبارك وتعالى له: اذهب فادخل الجنّة، قال: فيأتيها، فيخيّل إليه أنّها ملأى، فيرجع فيقول: يا ربّ، وجدتها ملأى، فيقول الله له: اذهب فادخل الجنّة، فإنّ لك مثل الدّنيا وعشرة أمثالها، أو إنّ لك عشرة أمثال الدّنيا، قال: فيقول: أتسخر بي، أو أتضحك بي، وأنت الملك؟ قال: لقد رأيت رسول اللهِ ﷺ ضحك حتّى بدت نواجذه. قال: فكان يقال: ذاك أدنى أهل الجنّة منزلة)).[متفق عليه]

❑ فرحة لا تزول أبدا

وأما عن فرحة أهل الجنة وسعادتهم، فقد قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾[هود] قال المفسرون: (سُعِدُوا) أي: رُزقوا

السعادة التي لا تنقطع ولا تنتهي، و(عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ) أي: أن ذلك العطاء من النعيم والسرور مستمر غير مقطوع.

وقال الله تعالى في حق الشهداء: ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾[آل عمران]، قال ابن كثير في تفسيره: "أي: الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله أحياء عند الله، وهم فرحون مما هم فيه من النعمة والغبطة".

فمن عجيب نعيم الجنة أن الفرح وشعوره لن يزول أبدًا من قلب المؤمن، وقد جاء عن بعض السلف: "أنّ الرّجل إذا دخل الجنّة صوّر صورة أهل الجنّة، وألبس لباسهم، وحلّي حليتهم، وأري أزواجه، وخدمه، يأخذه سوار فرح، لو كان ينبغي له أن يموت لمات من سوار فرحه، فيقال له: أرأيت سوار فرحتك هذه، فإنّها قائمة لك أبدًا".

فهذا السرور مع قوته يظل مع المؤمن إلى الأبد، فلا ينغصه منغص ولا يكدره مكدّر.

❑ مساكنها وبيوتها وأثاثها

أما مساكن الجنة وبيوتها وصفها الله تعالى بأنها طيبة، فقال سبحانه: ﴿وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾[التوبة]، قال ابن كثير: "أي: حسنة البناء، طيبة القرار"[التفسير]، إنها مساكن حياة الأبد، فحدّث أنّى شئت عن جمالها، غرفٌ من الدرّ، وخيامٌ من اللؤلؤ، وقصورٌ شامخة، ومنابرُ من نور، حدّث عن أنوارها وأضوائها وأشعّتها التي من كل مكان، وفرشها التي من أنواع الحرير، وجواهرها الباهرة، وقبابها التي من اللؤلؤ، وبروجها التي من المرجان، ونعيم يحيّر الأذهان، إنه النعيم المقيم.

وقال رسول الله ﷺ واصفًا خيام أهل الجنة: ((إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة، طولها ستون ميلاً، للمؤمن فيها أهلون، يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضا)).[مسلم]

ولهم سرر فاخرة عظيمة يتكئون عليها وهم في قمة سعادتهم وفرحهم بما هم فيه من نعيم، قال تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾[الطور]، وقال تعالى: ﴿عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ۝ مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ﴾[الواقعة]، قال ابن كثير: "وقوله: ﴿عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ﴾ قال ابن عباس: أي مرمولة بالذهب، يعني: منسوجة به،

وقال السدي: مرمولة بالذهب واللؤلؤ. وقال عكرمة: مشبكة بالدر والياقوت"، وقوله: ﴿وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ﴾ قال ابن كثير: "أي: عالية وطيئة ناعمة". [التفسير]

وقال تعالى يصف هذه الفرش: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾[الرحمن]، قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: بطائن هذه الفرش من غليظ الديباج. وذكر عن ابن مسعود قال: قد أخبرتم بالبطائن، فكيف لو أخبرتم بالظواهر؟".[التفسير]، وقال ابن كثير: "قال أبو عمران الجوني: هو الديباج المغري بالذهب، قال: وقال مالك بن دينار: بطائنها من إستبرق، وظواهرها من نور".[التفسير]

وقال أيضًا سبحانه: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾[الرحمن]، قال الطبري: "عن سعيد بن جبير قال: الرفرف: رياض الجنة، وعن قتادة قال، قال الحسن: الرفرف: مرافق خُضْر".[التفسير]

وأما العبقريّ: فهي الفرش المبسوطة المنقوشة الجميلة.

وذكر جل وعلا مبينًا بعض ما في الجنة من أثاث: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ۝ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ۝ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۝ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾[الغاشية]، قال الطبري: "وقوله: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ﴾ والسرر: جمع سرير، مرفوعة ليرى المؤمن إذا جلس عليها جميع ما خوّله ربه من النعيم والملك فيها، ويلحق جميع ذلك بصره، قوله: ﴿وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ﴾ وهي جمع كوب، وهي الأباريق التي لا آذان لها، وَعُنِي بقوله: ﴿مَوْضُوعَةٌ﴾: أنها موضوعة على حافة العين الجارية، كلما أرادوا الشرب وجدوها ملأى من الشراب، وقوله: ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾ يعني بالنمارق: الوسائد والمرافق".[التفسير]

ومن آنيتهم أيضًا الصحاف التي من ذهب، قال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[الزخرف]، قال الطبري: "عن السديّ قال: القصاع، وروى بسنده عن شعبة، قال: إنّ أدنى أهل الجنة منزلة مَن له قصر فيه سبعون ألف خادم، في يد كل خادم صحفة سوى ما في يد صاحبها، لو فتح بابه فضافه أهل الدنيا لأوسعهم".[التفسير]

ومن نعيمهم أن لهم أبوابًا تفهم حين يُتكلم معها، قال تعالى: ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾[ص]، قال الطبري: "عن الحسن، في قوله ﴿مُفَتَّحَةً لَهُمُ الأبْوَابُ﴾ قال: أبواب تكلم، فتكلم: انفتحي، انغلقي".[التفسير]، وقال ابن القيم: "وتفتّح أبوابها تأمل قوله سبحانه: ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الأَبْوَابُ﴾ كيف تجد تحته معنى بديعًا وهو أنهم إذا دخلوا الجنة لم تغلق أبوابها عليهم بل تبقى مفتحة كما هي، ... وعن قتادة قال: أبواب يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها تتكلم وتكلم وتفهم ما يقال لها انفتحي انغلقي".[حادي الأرواح]

هذا بعض النعيم الذي وعدنا الله به في الجنة، وجاء وصفه في الكتاب وصحيح السنة، والمؤمن اللبيب من لا يستطيل طريق الآخرة أو يملّ، بل يدرك أنه في دار عمل واختبار، فيستسهل كل صعب ليدخل هذه الجنة وينال ما فيها من نعيم مقيم، ولكل مجتهد نصيب، فاللهم إنا نسألك الجنة وما قرّب إليها من قول أو عمل، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل.

فصل

-أشجار الجنة وأنهارها-[١]

فكلما أرّقك الطريق أو أتعبتك الأشواك يا عبد الله، تذكر أن الجنة موجودة الآن بزينتها وجمالها، مهيّئة معدّة لأهلها الصالحين العابدين الخاشعين المجاهدين الذاكرين الصائمين، إن دخلوا مبانيها أظلتهم قصورها وغرفها وخيامها، وإن خرجوا إلى باحة الجنة فهم في ظلال أشجارها التي لا تيبس ولا تتغيّر، وأرضها التي تعبق مسكًا وطيبًا، وأنهارها التي فيها اللذة في شرابها وصفائها، ونعم دار المتقين.

❑ أرض الجنة وترابها

وفي الجنة يتقلب المؤمن بين القصور وخيام الدرّ، وبين أرض الجنة وأشجارها وبساتينها وأنهارها، فأما أرضها وتربتها فهي معطّرة بالمسك بل هي المسك، قال نبينا محمد ﷺ في رحلة الإسراء والمعراج: ((ثم أُدخلت الجنة فإذا فيها جنابذ -أي: قباب- اللؤلؤ، وإذا ترابها

١- العدد ٣٧٧

المسك))[البخاري]، وأما أحجارها وحصباؤها فهي جواهر منثورة هنا وهناك، وسئل النبي ﷺ عن الجنة فقال: ((لبنة من فضة ولبنة من ذهب، وملاطها المسك الأذفر، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وتربتها الزعفران من دخلها ينعم ولا ييأس، ويخلد ولا يموت، لا تبلى ثيابهم، ولا يفنى شبابهم))[الترمذي]، قال ابن رجب: "والملاط: التراب الذي يختلط بالماء، فيصير كالطين، فلونه لون الزعفران في بهجته وإشراقه، وريحه كريح المسك، وطعمه كطعم الخبز، يؤكل".[فتح الباري]

فما أجمل هذه الأرض، وما أطيب ريحها، وإن كان هذا ريحها فما بالك بريح ما يلتحف به أهل الجنة من الحُلل؟!، وما بالك بأجساد المؤمنين التي عرقها المسك؟!، فحلّق واسرح في خيالك محاولًا إدراك هذا النعيم الذي لن تحيط به حتى تناله، نسأل الله أن نكون وإياكم من أهل الجنة.

❑ دانية ظلالها

وإن قصدت أشجار الجنة وبساتينها فإن وصفها عجيب، قال الله جل وعلا: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ

﴿مَآبٍ﴾[الرعد]، قال ابن جرير: "عن ابن عباس: (طوبى لهم) شجرة في الجنة، وعن أبي هريرة قال: (طوبى لهم): شجرة في الجنة يقول لها: "تَفَتَّقي لعبدي عما شاء"! فتتفتق له عن الخيل بسروجها وجُمها، وعن الإبل بأزمّتها، وعما شاء من الكسوة"[التفسير]، وقال تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا﴾[الرعد]، قال ابن جرير: "(وظلها)، يقول: وظلها أيضًا دائم، لأنه لا شمس فيها"[التفسير]، وقال تعالى: ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلا ظَلِيلا﴾[النساء]، وظلال الجنة قريبة وثمارها دانية، قال ربنا الكريم سبحانه: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾[الإنسان]، قال ابن كثير: "﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا﴾ أي: قريبة إليهم أغصانها، ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ أي: متى تعاطاه دنا القطف إليه وتدلى من أعلى غصنه، كأنه سامع طائع، كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾[الرحمن]، وقال تعالى: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾[الحاقة]، قال مجاهد: ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ إن قام ارتفعت بقدره، وإن قعد تدلت له حتى ينالها، وإن اضطجع تدلت له حتى ينالها، فذلك قوله: ﴿تَذْلِيلًا﴾، وقال قتادة: لا يرد أيديهم عنها شوك ولا بعد، وقال مجاهد: أرض الجنة من ورق، وترابها المسك، وأصول شجرها من ذهب وفضة، وأفنانها من اللؤلؤ الرطب والزبرجد والياقوت، والورق والثمر بين ذلك. فمن أكل منها قائما لم يؤذه، ومن

أكل منها قاعدًا لم يؤذه، ومن أكل منها مضطجعًا لم يؤذه".[التفسير]
وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ۝ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾[المرسلات]، وقال تعالى: ﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ﴾.[يس]

وفي الجنة أفنان لعباد الله المتقين، قال تعالى: ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾[الرحمن]، قال ابن كثير: "أي: أغصان نضرة حسنة، تحمل من كل ثمرة نضيجة فائقة، وقال عطاء: كل غصن يجمع فنونا من الفاكهة، وقال الربيع بن أنس: ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾: واسعتا الفناء".[التفسير]

وبعضها جنان خضراء في شدة الخضرة التي لا تصفرّ ولا تتغيّر، قال تعالى: ﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾[الرحمن]، قال ابن كثير: "قال ابن عباس في قوله: ﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾ قد اسودتا من الخضرة، من شدة الري من الماء".[التفسير]

وقد ذكر ربنا الرحمن سبحانه أن في الجنة ظلًا طويلًا فقال: ﴿وَظِلٍّ مَمْدُودٍ﴾[الواقعة]، وفي هذا قال رسول الله ﷺ: ((إن في الجنة لشجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع مائة عام ما يقطعها)).[متفق عليه]

وليس في الجنة شوك في شجرها، قال الله تعالى: ﴿فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ﴾[الواقعة]، وذكر المفسرون أن معنى مخضود: الذي قد خُضد شوكه، أي نُزِع وقطع فلا شوك فيه. وجاء في مستدرك الحاكم وصححه الذهبي، أن أعرابيًا سأل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، لقد ذكر الله في القرآن شجرة مؤذية، وما كنت أرى أن في الجنة شجرة تؤذي صاحبها، فقال رسول الله ﷺ: ((وما هي))؟ قال: السدر، فإن لها شوكًا، فقال رسول الله ﷺ: ((في سدر مخضود، يخضد الله شوكه، فيجعل مكان كل شوكة ثمرة، فإنها تنبت ثمرًا تفتق الثمرة معها عن اثنين وسبعين لونًا، ما منها لون يشبه الآخر)).

وذكر ابن القيم عن بعض السلف: "أن نخل الجنة جذوعها من زمرد أخضر، وكربها ذهب أحمر، وسعفها كسوة لأهل الجنة، منها مقطعاتهم وحللهم، وثمرها أمثال القلال والدلاء، أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل، وألين من الزبد ليس فيها عجم". [حادي الأرواح]

وإن أقل موضع في أرض الجنة أعظم من الدنيا بأسرها، قال رسول الله ﷺ: ((وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها)). [البخاري]

وإن أحب عبد الزرع في الجنة فإن له ذلك، عن أبي هريرة أن النبي ﷺ كان يحدث يومًا وعنده رجل من أهل البادية: "أن رجلًا من أهل الجنة استأذن ربه عز وجل في الزرع، فقال له: أولست فيما اشتهيت، فقال: بلى، ولكني أحب أن أزرع، فأسرع وبذر، فتبادر الطرف نباته واستواؤه واستحصاده وتكويره أمثال الجبال، فيقول الله عز وجل: دونك يا ابن آدم فإنه لا يشبعك شيء، فقال الأعرابي: يا رسول الله ﷺ لا نجد هذا إلا قرشيًا أو أنصاريًا، فإنهم أصحاب زرع، فأما نحن فلسنا بأصحاب زرع، فضحك رسول الله ﷺ". [البخاري]

وإن سألت عن جو الجنة ونسيمها فهو الذي تحبّه النفوس، فقد قال الله تعالى: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾[الإنسان]، قال ابن كثير -رحمه الله-: "أي: ليس عندهم حر مزعج، ولا برد مؤلم، بل هي مزاج واحد دائم سرمدي، ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾[الكهف]". [التفسير]

❑ أنهار الجنة

وإن مشيت في الجنة ففيها الأنهار الجارية، لكنها لا تجري على الحفر والأخاديد كأنهار الدنيا إنما تجري على الأرض كما هي، عن

مسروق قال: "أنهار الجنة تجري في غير أخدود، وثمرها كالقلال، كلما نزعت ثمرة عادت أخرى، والعنقود اثنا عشر ذراعا". [مصنف ابن أبي شيبة]

وهذه الأنهار تتفجر من الفردوس الأعلى، قال رسولنا ﷺ في الفردوس: ((ومنه تفجّر أنهار الجنة)). [البخاري]

وذكر النبي ﷺ أن هذه الأنهار فروع من بحار في الجنة، فقال: ((في الجنة بحر اللبن، وبحر الماء، وبحر العسل، وبحر الخمر، ثم تشقق الأنهار منها بعد)). [أحمد]

وهي أيضًا تجري من تحتهم وتحت جناهم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾[يونس]، وقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾[البقرة]، وهي من ماء وخمر ولبن وعسل، ولكنها لا تشبه شيئًا من مذاق الدنيا، بل خالية من كل نقص وكدر، قال الله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾[محمد]، قال الإمام الطبري: "يقول تعالى ذكره

في هذه الجنة التي ذكرها: أنهار من ماء غير متغير الريح، وقوله: ﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ﴾ يقول تعالى ذكره: وفيها أنهار من لبن لم يتغير طعمه، لأنه لم يحلب من حيوان فيتغير طعمه بالخروج من الضروع، ولكنه خلقه الله ابتداء في الأنهار، فهو بهيئته لم يتغير عما خلقه عليه. وقوله: ﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾ يقول: وفيها أنهار من خمر لذة للشاربين يلتذّون بشربها. وقوله: ﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾ يقول: وفيها أنهار من عسل قد صُفِّي من القَذى، وما يكون في عسل أهل الدنيا قبل التصفية، إنما أعلم تعالى ذكره عباده بوصفه ذلك العسل بأنه مصفى أنه خلق في الأنهار ابتداءً سائلًا جاريًا سيل الماء واللبن المخلوقين فيها، فهو من أجل ذلك مصفًّى، قد صفاه الله من الأقذاء التي تكون في عسل أهل الدنيا الذي لا يصفو من الأقذاء إلا بعد التصفية، لأنه كان في شمع فصُفي منه". [التفسير مختصرا]

فيا عبد الله، هذه أشجار الجنة وأنهارها، وهذه ظلالها وقطوفها، وهذا بعض نعيمها الذي أعدّه الله تعالى لعباده المؤمنين، فجدّ السير نحوها، وتخفّف من أحمال الدنيا؛ لتسرع في المسير إليها.

وسنذكر -فيما بعد- تكملة الوصف لهذا النعيم المقيم، والفوز العظيم، إن شاء الله تعالى.

اللهم أدخلنا الجنة واجعلها دارنا وقرارنا، وثبتنا على الحق حتى نلقاك.

فصل

-صفة أهل الجنة وكسوتهم-[١]

فالجنة وما فيها من جمال، ونفس المؤمن وجسده ولباسه وما عليه من الأساور من جمال، فتلك دار النعيم كَمُل نعيمها ولأن عيشها وتوسع سرورها، فهي لعباد الرحمن مستقر ومآب ومأوى.

ونكمل في وصف النعيم المقيم في الجنة ونتحدث[٢] عن صفة أهل الجنة وكسوتهم.

١- العدد ٣٧٨

٢- في الأصل: "ونتحدث اليوم".

❑ نضرة النعيم

إنّ وجوه أهل الجنة مضيئة منيرة ناعمة، تعلوها البهجة والسرور بدخولها دار النعيم، وبما وجدت من التباشير والتحايا من الملائكة، ومن الأزواج والخدم وعظيم الملك، قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ۞ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ﴾[عبس]، قال ابن كثير رحمه الله: "قال الله تعالى: ﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾[الإنسان] وهذا من باب التجانس البليغ، ﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ﴾ أي: آمنهم مما خافوا منه، ﴿وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً﴾ أي: في وجوههم، ﴿وَسُرُورًا﴾ أي: في قلوبهم، قاله الحسن البصري، وقتادة، وأبو العالية، والربيع بن أنس، وهذه كقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ۞ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ﴾، وذلك أن القلب إذا سُرَّ استنار الوجه".[التفسير]

وفي الصحيحين أن النبي ﷺ قال: ((أول زمرة يدخلون الجنة كأن وجوههم ضوء القمر ليلة البدر، والزمرة الثانية على لون أحسن كوكب دري في السماء)).

ووجوههم ناعمة لا كلح فيها ولا تعب ولا اكفهرار، فقد ولّى الشقاء والكدر في الدنيا بلا رجعة، قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ ۝ لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾[الغاشية] قال ابن كثير رحمه الله: "أي: يعرف النعيم فيها، وإنما حصل لها ذلك بسعيها".[التفسير]

فتعب العبادة في الدنيا وشظف العيش والكد والصبر وكل ما لاقاه المؤمن في حياته من كبد؛ أعقبه نعومة دائمة في الوجوه والحياة داخل الجنة.

ونضرة النعيم واضحة فيهم، كما قال الله تعالى: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾[المطففين]، قال البغوي: "إذا رأيتهم عرفت أنهم من أهل النعمة مما ترى في وجوههم من النور والحسن والبياض"[التفسير]، وقال سبحانه: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾.[القيامة]

وقد أخبرنا النبي ﷺ عن صفة وجوه هؤلاء الأبرار، فعن عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– قال: قال النبي ﷺ: ((إن من عباد الله لأناسا ما هم بأنبياء، ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة، بمكانهم من الله تعالى)) قالوا: يا رسول الله، تخبرنا من هم، قال: ((هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم، ولا أموال يتعاطونها، فوالله

إن وجوههم لنور، وإنهم على نور لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس)) وقرأ هذه الآية: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.[أبو داود]

وأما عن طول أجسادهم وجمالها، ففي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: ((خلق اللهُ آدم على صورته، طوله ستون ذراعًا، فلما خلقه قال: اذهب فسلم على أولئك النفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يحيونك، فإنها تحيتك وتحية ذريتك، فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله، فزادوه ورحمة الله، فكلُّ مَن يدخل الجنةَ على صورة آدم..))، وورد في وصفهم أيضًا أنهم مردُ الوجوه لا لحى فيها، ومكحّلين خِلقَة جمّلهم الله بها كما روي عَنْ أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: ((يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ جُرْدًا مُرْدًا مُكَحَّلِينَ))[الطبراني]، كما رويت أحاديث أخرى تتحدث عن أعمار أهل الجنة وأنهم يكونون: ((أبناء ثلاث وثلاثين))[أحمد]، وقد علّق الإمام ابن القيم على ما تقدّم من أوصاف أهل الجنة، فقال: "وفي هذا الطول والعرض والسن من الحكمة ما لا يخفى، فإنه أبلغ وأكمل في استيفاء اللذات، لأنه أكمل سن القوة مع عظم آلات اللذة، وباجتماع الأمرين يكون كمال اللذة وقوتها، بحيث يصل في اليوم الواحد إلى مئة عذراء".[حادي الأرواح]

وهم مع ذلك يظل شبابهم للأبد لا يتغير ولا يكبرون عن سنّهم ولا تتغير ثيابهم، فعن النبي ﷺ قال: ((من يدخل الجنة ينعم لا ييأس لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه)).[مسلم]

وليس في الجنة ذلّ في الظاهر ولا في الباطن، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ۝ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى﴾[طه]، قال ابن كثير: "﴿إِنَّ لَكَ أَلا تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَى﴾ إنما قرن بين الجوع والعُرْي؛ لأن الجوع ذُلّ الباطن، والعري ذُلّ الظاهر، ﴿وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَى﴾ وهذان أيضًا متقابلان، فالظمأ: حر الباطن، وهو العطش، والضحى: حر الظاهر".[التفسير]

وإن أجسادهم آمنة من كل آفة، من مرض أو موت أو هرم أو ضعف أو تنكّس في الخلق، قال رسول الله ﷺ: ((ينادي منادٍ إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدًا، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدًا، وإن لكم أن تشبّوا فلا تهرموا أبدًا، وإن لكم أن تنعموا فلا تبتئسوا أبدًا)).[رواه مسلم]

وقد طُهّرت أجسادهم من كل سوء، فلا يدخلها إلا حَسَنٌ ولا يخرج منها إلا طيّب، قال رسول الله ﷺ: ((إن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون، ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون)) قالوا: فما

بال الطعام؟ قال: ((جشاء ورشح كرشح المسك...))[مسلم]، وذكر النبي ﷺ عن أول زمرة تدخل الجنة أن: ((أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك، ومجامرهم الألوّة، وأزواجهم الحور العين، أخلاقهم على خلق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم ستون ذراعًا في السماء)).[متفق عليه]

وأما نَفَسهم وزفيرهم وشهيقهم فهو: سبحان الله والحمد لله والله أكبر، قال النبي ﷺ: ((يلهمون التسبيح والتحميد، كما تلهمون النفس))[مسلم]، قال ابن حجر: "((قوله يسبحون الله بكرة وعشيا)) أي: قدرهما، قال القرطبي: هذا التسبيح ليس عن تكليف وإلزام. وقد فسره جابر في حديثه عند مسلم بقوله: يلهمون التسبيح والتكبير كما يلهمون النفس. ووجه التشبيه: أن تنفس الإنسان لا كلفة عليه فيه، ولا بد له منه، فجعل تنفسهم تسبيحًا، وسببه أن قلوبهم تنورت بمعرفة الرب سبحانه وامتلأت بحبه، ومن أحب شيئًا أكثر من ذكره"[فتح الباري]، فطابت الأجساد وطابت الأنفاس.

ومن صفات أهل الجنة أن قلوبهم رقيقة كما جاء عن النبي ﷺ قال: ((يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير)).[مسلم]

❑ كسوة أهل الجنة وحللهم

وإن كانت تلك أجسادهم فحُق لها أن تُكسى بأحسن الحُلل، نعم إنها كسوة الملوك يتوشحون بها، قال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾[الكهف] قال البغوي: "قال سعيد بن جبير: يُحلّى كل واحد منهم ثلاث أساور واحد من ذهب وواحد من فضة وواحد من لؤلؤ ويواقيت ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ﴾ وهو ما رقّ من الديباج ﴿وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ وهو ما غلظ منه ومعنى الغلظ في ثياب الجنة: إحكامه، وعن أبي عمران الجوني قال: السندس هو الديباج المنسوج بالذهب، ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا﴾ في الجنان ﴿عَلَى الأَرَائِكِ﴾ وهي السرر في الحجال واحدتها أريكة".[التفسير]

وفي المعجم الأوسط عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ((لو أن أدنى أهل الجنة حلية عدلت حليته بحلية أهل الدنيا جميعًا، لكان ما يحليه الله به في الآخرة أفضل من حلية أهل الدنيا جميعًا))، وهذه الحلية تبلغ من يد المؤمن حيث يبلغ ماء الوضوء، فقد قال أبو هريرة –رضي

الله عنه-: "سمعت خليلي ﷺ يقول: ((تبلغ الحليةُ من المؤمن حيث يبلغ الوضوء)).[مسلم]

وجاء أن لباسهم يخرج من ثمار الجنة، فعن عبد الله بن عمرو بن العاصي، قال: بينا نحن عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل فقال: يا رسول الله أخبرنا عن ثياب الجنة، أخلق يخلق أو نسيج ينسج؟ فضحك بعض القوم، فقال لهم: تضحكون أن جاهلًا يسأل عالمِا، فجلس يسيرًا أو قليلًا، فقال رسول الله ﷺ: أين السائل عن ثياب الجنة؟ قال: ها هو ذا يا رسول الله، قال: لا بل تشقق عنها ثمر الجنة. قالها ثلاثًا". [النسائي]

وبعد كسوتهم الفارهة فإنهم يلتقون على السرر متقابلين، قال تعالى: ﴿يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ قال الطبري: "وقوله: (مُتَقَابِلِينَ) يعني أنهم في الجنة يقابل بعضهم بعضًا بالوجوه، ولا ينظر بعضهم في قفا بعض". [التفسير]

وقال جل وعلا: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ قال الطبري: "يقول: ولبوسهم التي تلي أبشارهم فيها ثياب حرير". [التفسير]

هذا يسير مما أعده الله لأوليائه في الجنة، فإن أهل الجنة مقبلون على ملِكٍ كريم سبحانه لا يخلف الميعاد وعنده خزائن كل شيء.

اللهم أدخلنا الجنة واجعلها دارنا وقرارنا، وثبتنا على الحق حتى نلقاك.

فصل

-طعام أهل الجنة وشرابهم-[١]

فإن كانت الجنة دار اللذة والنعيم، فقد جعل الله لأوليائه فيها صنوفا من المطاعم والمشارب يتنعمون بها في كل وقت وحين، عطاءً من ربٍ كريم وجزاءً للسعي المشكور، فيزول التعب وينقضي الجوع والنصب، وينعم المؤمنون إلى الأبد فيما اشتهت أنفسهم، بعد أن أمضوا حياتهم في الصبر عن ملذات الدنيا وشهواتها طمعًا فيما عند الله تعالى، فما عند الله خير وأبقى، وهل هناك خير وأبقى من جنة الخلد؟!

١- العدد ٣٧٩

وفي هذا الفصل[١] نتناول ما ذكره الله تعالى عن أوصاف طعام وشراب أهل الجنة في دار النعيم المقيم.

❑ فاكهين بما آتاهم

إن رزق أهل الجنة غير مقطوع ولا ممنوع، فلهم من أنواع الطيبات المأكولة والمشروبة على اختلاف أصنافها وألوانها من غير استثناء لصنف أو لون، بل ما لذّ وطاب يأكلونها تفكّها وتنعّما من غير جوع إذْ ليس في الجنة جوع، قال ربنا الرحمن سبحانه: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ * فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾[الطور]، قال ابن كثير: "أي: يتفكهون بما آتاهم الله من النعيم، من أصناف الملاذ، من مآكل ومشارب وملابس ومساكن ومراكب وغير ذلك".[التفسير]

وهم مخلدون في هذه النعائم، فلا تنقضي ولا تنقطع، لقوله تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾[الزخرف]، قال ابن كثير: "﴿وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ﴾ أي: طيب الطعم

[١]- في الأصل: "في هذا المقال من هذه السلسلة الوعظية"

والريح وحسن المنظر، ﴿وَأَنْتُمْ فِيهَا﴾ أي: في الجنة ﴿خَالِدُونَ﴾: لا تخرجون منها ولا تبغون عنها حولا، ثم قيل لهم على وجه التفضل والامتنان: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: أعمالكم الصالحة كانت سببًا لشمول رحمة الله إياكم، فإنه لا يدخل أحدًا عمله الجنة، ولكن بفضل من الله ورحمته".[التفسير]

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ۝ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ۝ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[المرسلات]، قال الطبري: "﴿وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾، يأكلون منها كلما اشتهوا، لا يخافون ضرّها، ولا عاقبة مكروهها، وقوله: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: يُقال لهم: كلوا أيها القوم من هذه الفواكه، واشربوا من هذه العيون كلما اشتهيتم هنيئًا، لا تكدير عليكم، ولا تنغيص فيما تأكلونه وتشربون منه، ولكنه لكم دائم، لا يزول، ومريء لا يورثكم أذى في أبدانكم".[التفسير]

وقد ذكر الله أن الولدان المخلّدين حاضرون لخدمة المؤمن في الجنة، يُقدمون لهم أنواع المآكل والمشارب بين يديه تأتي صحفة وتذهب أخرى، قال ربنا الكريم سبحانه: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ ۝ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ۝ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ

﴿ وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ قال ابن جرير: "وقوله: ﴿وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: ويطوف هؤلاء الولدان المخلدون على هؤلاء السابقين بفاكهة من الفواكه التي يتخيرونها من الجنة لأنفسهم، وتشتهيها نفوسهم ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ يقول: ويطوفون أيضًا عليهم بلحم طير مما يشتهون من الطير الذي تشتهيه نفوسهم". [التفسير]

وعن أنس بن مالك قال: "سئل رسول الله ﷺ ما الكوثَر؟ قالَ: ((ذاك نهر أعطانيه الله –يعني في الجنّة– أشدّ بياضًا من اللّبن، وأحلى من العسل، فيه طير أعناقها كأعناق الجزر))، قال عمر: إنّ هذه لناعمة، فقال رسول الله ﷺ: ((أَكَلَتُها أنعَمُ مِنها))". [الترمذي]

ولأهل الجنة الفواكه بأشكالها وألوانها، ما سمع البشر عنه وما لم يسمعوا، قال الله تعالى: ﴿وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ۝ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾[الواقعة]، قال ابن كثير رحمه الله: "أي: وعندهم من الفواكه الكثيرة المتنوعة في الألوان ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾[البقرة]، أي: يشبه الشكل الشكل، ولكن الطعم غير الطعم، وفي الصحيحين في ذكر سدرة المنتهى قال: ((فإذا

ورقها كآذان الفيلة، ونبقها مثل قلال هجر))"[التفسير]، وقال تعالى: ﴿وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ﴾[الواقعة] ذكر السيوطي في تفسيره عن مجاهد قال: "يعني الموز المتراكم".

وفي الجنة لا قلق يعتري العباد خوفًا من انتهاء هذه الفواكه أو انقضاء موسمها أو التضرر منها، كما هو حال فاكهة الدنيا، فقد جاء في تفسير الإمام البغوي: "﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ﴾[الدخان]: اشتهوها، ﴿آمِنِينَ﴾: من نفادها ومن مضرتها"، وأما كيف يكون بعد الطعام فقد ذكرت الآثار أنهم يعرقون ويرشحون مسكًا، فيذهب الله عز وجل ما في بطونهم من أذى، ولا شك أن الجنة لا وجود فيها لأي نوع من أنواع الأذى أو الضرر أو القبائح التي تمتلئ بها الدنيا الدنية.

❑ الشراب الطهور

وأما شراب أهل الجنة فهو شراب طهور لا ينجس أبدًا، كما قال الله تعالى: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾[الإنسان]، قال ابن جرير: "قوله: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ يقول تعالى ذكره: وسقى هؤلاء الأبرار ربُّهُم شرابًا طهورًا، ومن طهره أنه لا يصير بولًا نجسًا، ولكنه يصير

رشحًا من أبدانهم كرشح المسك، وذكر عن إبراهيم التيمي ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ قال: عرق يفيض من أعراضهم مثل ريح المسك". [التفسير] وعن النبي ﷺ قال: ((إنّ الرّجل من أهل الجنّة يعطى قوّة مئة رجل في الأكل والشّرب والشّهوة والجماع، فقال رجل من اليهود: فإنّ الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجة؟ قال: فقال له رسول الله ﷺ: حاجة أحدهم عرق يفيض من جلده، فإذا بطنه قد ضمر)). [رواه أحمد]

❑ خمر الجنة

وبعد أكلهم ما يشتهون من اللحوم، يتناولون كأس الخمر بكامل لذتها وسعادة تعاطيها إلا أنها بغير سكر ولا زوال عقل، قال الله تعالى: ﴿وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ۝ يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ۝ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ﴾[الطور]، قال ابن كثير: "قوله: ﴿وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ أي: وألحقناهم بفواكه ولحوم من أنواع شتى، مما يستطاب ويشتهى، وقوله: ﴿يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا﴾ أي: يتعاطون فيها كأسًا من

الخمر، قاله الضحاك، ﴿لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ أي: لا يتكلمون عنها بكلام لاغ أي: هذيان ولا إثم أي: فحش، كما تتكلم به الشربة من أهل الدنيا، وقال ابن عباس: اللغو: الباطل، والتأثيم: الكذب، وقال مجاهد: لا يستبون ولا يؤثمون، وقال قتادة: كان ذلك في الدنيا مع الشيطان، فنزه الله خمر الآخرة عن قاذورات خمر الدنيا وأذاها، فنفى عنها -كما تقدم- صداع الرأس، ووجع البطن، وإزالة العقل بالكلية، وأخبر أنها لا تحملهم على الكلام السيئ الفارغ عن الفائدة المتضمن هذيانًا وفحشًا، وأخبر بحسن منظرها، وطيب طعمها ومخبرها فقال: ﴿بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ ۝ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾.[التفسير]

وقال الله تعالى أيضًا: ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ ۝ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾[المطففين]، قال البغوي: "﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ﴾: خمر صافية طيبة، قال مقاتل: الخمر البيضاء، ﴿مَخْتُومٍ﴾ ختم ومنع من أن تمسه يد إلى أن يفك ختمه الأبرار، وقال مجاهد: "مختوم" أي مطين، ﴿خِتَامُه﴾ أي: طينه ﴿مِسْكٌ﴾ كأنه ذهب إلى هذا المعنى، قال ابن زيد: ختامه عند الله مسك، وختام خمر الدنيا طين، وقال ابن مسعود: "مختوم" أي ممزوج ختامه أي: آخر طعمه".[التفسير]

وقال الله تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ۝ قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ۝ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ۝ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا﴾[الإنسان]، قال ابن كثير: "قال ابن عباس، ومجاهد، والحسن البصري، وغير واحد: بياض الفضة في صفاء الزجاج، والقوارير لا تكون إلا من زجاج، فهذه الأكواب هي من فضة، وهي مع هذا شفافة يرى ما في باطنها من ظاهرها، وهذا مما لا نظير له في الدنيا.. وذكر عن ابن عباس قوله: ليس في الجنة شيء إلا قد أعطيتم في الدنيا شبهه إلا قوارير من فضة، رواه ابن أبي حاتم، وقوله: ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ أي: على قدر ريّهم، لا تزيد عنه ولا تنقص، بل هي معدة لذلك، مقدرة بحسب ري صاحبها، قال: وهذا أبلغ في الاعتناء والشرف والكرامة، وقوله: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا﴾ أي: ويسقون -يعني الأبرار أيضا- في هذه الأكواب خمرًا، ﴿كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا﴾ فتارة يمزج لهم الشراب بالكافور، وهو بارد، وتارة بالزنجبيل وهو حار، ليعتدل الأمر، وهؤلاء يمزج لهم من هذا تارة ومن هذا تارة، وأما المقربون فإنهم يشربون من كل منهما صرفًا، كما قاله قتادة وغير واحد، وقد تقدم قوله: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ وقال هاهنا: ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا﴾ أي: الزنجبيل عين في الجنة تسمى سلسبيلا". [التفسير]

وهذا وإن فواكه الجنة وشرابها كثير من أصناف عديدة لا نعرف منها إلا اسمها، وقد ادخر الله لأهل الجنة صنوفًا من النعيم المقيم ليس لأحد إلا لأهل الجنة، قال الله تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾[ص]، قال ابن كثير: "وقوله: ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا﴾ قيل: متربعين فيها على سرر تحت الحجال ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ﴾ أي: مهما طلبوا وجدوا وحضر كما أرادوا، ﴿وَشَرَابٍ﴾ أي: من أي أنواعه شاءوا أتتهم به الخدام ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ﴾".

ويشربون من أنهار الماء الصافي واللبن والخمر والعسل كل حين، فهذه هي أنهار الجنة الجارية.

وهكذا ينعم أهل الجنة لا ييأسون، يعيشون عيش النعيم في دار النعيم، ويُنادَون وهم في نعيمهم: ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا﴾[الإنسان]، فكن ساعيًا إلى هذا الخير العظيم والجزاء الكبير.

اللهم أدخلنا الجنة واجعلها دارنا وقرارنا، وثبتنا على الحق حتى نلقاك.

فصل

-نساء أهل الجنة-[١]

قضى الله تعالى أن تكون الجنة دارًا للمتقين، كل ما فيها نعمة ونعومة ونعيم؛ طعامها وفرشها وحورها، وهذه الحور أحارت العقول، بجمالها الذي يبقى ولا يفنى ويدوم فلا يبلى، تتحبّب لزوجها وتصارحه بألطف الكلام، عيناء حسناء ذات بهاء وصفاء، فطوبى للساعين لخطبها بمرضاة الله تعالى، بالجهاد بالصيام بالقيام بالإنفاق ويا حسرة الثقالى والكسالى.

رُفِعَتْ لَهُمْ فِي السَّيرِ أعْلَامُ الوِصَا ... لِ فَشَمَّرُوا يَا خَيْبَةَ الكَسْلَانِ

وفي هذا الفصل[٢] نتناول شيئًا من ذكر نساء الجنة كما جاء في نصوص الوحيين.

١- العدد ٣٨٠

٢- في الأصل: "في هذا المقال"

❑ (وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ)

قال ربنا الرحمن سبحانه: ﴿كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾[الدخان]، قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: كما أعطينا هؤلاء المتقين في الآخرة من الكرامة بإدخالهم الجنات، وألبسناهم فيها السندس والإستبرق، كذلك أكرمناهم بأن زوّجناهم أيضًا فيها حورًا من النساء، وهن النقيات البياض، واحدتهنّ: حَوْراء". [التفسير]

وقال ابن القيم: "الحور جمع حوراء وهي المرأة الشابة الحسناء الجميلة البيضاء شديدة سواد العين، وقال زيد بن أسلم: الحوراء التي يحار فيها الطرف، وعِين: حسان الأعين، وقال الحسن الحوراء: شديدة بياض العين شديدة سواد العين". [حادي الأرواح]

وقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[البقرة]، قال ابن القيم: "فتأمل جلالة المبشّر ومنزلته وصدقه وعظمة من أرسله إليك بهذه البشارة، وقدر ما بشرك به وضمنه لك على أسهل شيء عليك وأيسره، وجمع سبحانه في هذه البشارة بين

نعيم البدن بالجنات وما فيها من الأنهار والثمار، ونعيم النفس بالأزواج المطهرة، ونعيم القلب وقرة العين بمعرفة دوام هذا العيش أبد الآباد وعدم انقطاعه". [حادي الأرواح]

وقد شبّه الله جمالهن بالبيض المخبوء المدّخر فقال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ۝ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾[الصافات] قال الطبري: "وقوله (عِينٌ) يعني بالعين: النُّجْلَ العيون عِظامها، وهي جمع عيناء، والعيناء: المرأة الواسعة العين عظيمتها، وهي أحسن ما تكون من العيون." وقال: "البيض بهذا القول، فقال بعضهم: شبهّن ببطن البيض في البياض، وهو الذي داخل القِشْر، وذلك أن ذلك لم يمسه شيء". [التفسير]

وإن الحورية مثل الجوهرة في جمالها وصفاتها وصفائها، فقد قال الله تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ۝ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾[الواقعة] قال ابن كثير: "أي: كأنهن اللؤلؤ الرطب في بياضه وصفائه". [التفسير]

وقال الله تعالى: ﴿وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ ۝ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً ۝ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ۝ عُرُبًا أَتْرَابًا ۝ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾[الواقعة]، قال البغوي: "وقيل أراد بالفرش النساء، والعرب تسمى المرأة فراشًا ولباسًا

على الاستعارة "مرفوعة" رفعن بالجمال والفضل على نساء الدنيا دليل هذا التأويل قوله في عقبه: ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً﴾، خلقناهن خلقًا جديدًا قال ابن عباس: يعني الآدميات العجز الشمط، يقول خلقناهن بعد الهرم خلقا آخر. ﴿فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا﴾ عذارى"[التفسير]، وقال ابن كثير: "قوله: ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ﴾ أي: أعدناهن في النشأة الآخرة بعدما كُنَّ عجائز رُمْصًا، صرن أبكارًا عربًا، أي: بعد الثّيوبة عُدْن أبكارًا عُرُبًا، أي: متحببات إلى أزواجهن بالحلاوة والظرافة والملاحة".[التفسير]

وبيّن الله طهارة نساء الجنة من كل نقص يعتري نساء الدنيا؛ لتكتمل اللذة بهن والسعادة الأبدية معهن، قال الله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾[النساء] وقال سبحانه: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾[آل عمران] قال ابن كثير: "وقوله: ﴿لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ أي: من الحيض والنفاس والأذى، والأخلاق الرذيلة، والصفات الناقصة، كما قال ابن عباس: مطهرة من الأقذار والأذى..".[التفسير]

❑ ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾

وهنّ نساء قاصرات الطرف فلا ينظرن إلى غير أزواجهن، لم يرهنّ أحدٌ ولم يلمسهن أحدٌ من قبل، فهنّ مخبّآت لأزواجهن، متشوّقات لمجيئهم بلهفة وتوق، قال تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾[الرحمن]، قال ابن كثير: "ولما ذكر الفرش وعظمتها قال بعد ذلك: ﴿فِيهِنَّ﴾ أي: في الفرش ﴿قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ أي غضيضات عن غير أزواجهن، فلا يرين شيئًا أحسن في الجنة من أزواجهن. قاله ابن عباس، وقتادة، وعطاء الخراساني، وابن زيد، وقد ورد أن الواحدة منهن تقول لبعلها: والله ما أرى في الجنة شيئًا أحسن منك، ولا في الجنة شيء أحب إلي منك، فالحمد لله الذي جعلك لي وجعلني لك، ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ﴾ أي: بل هن أبكار عرب أتراب، لم يطأهن أحد قبل أزواجهن من الإنس والجن".[التفسير]

وقال تعالى: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾[الرحمن]، قال الطبري: "أما قوله: ﴿مَقْصُورَاتٌ﴾، فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله، فقال

بعضهم: تأويله؛ أنهنّ قُصِرْن على أزواجهنّ، فلا يبغين بهم بدلًا ولا يرفعن أطرافهن إلى غيرهم من الرجال". [التفسير]

❑ (كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ)

وهنّ خلق عجيب في صفائهن وجمالهن، قال ابن القيم: "قوله: ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾[الرحمن] قال الحسن وعامة المفسرين: أراد صفاء الياقوت في بياض المرجان، شبههن في صفاء اللون وبياضه بالياقوت والمرجان، ويدل عليه ما قاله عبد الله: إن المرأة من نساء أهل الجنة لتلبس عليها سبعين حلة من حرير، فيرى بياض ساقيها من ورائهن، ذلك بأن الله يقول: ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾، ألا وإن الياقوت حجر لو جعلت فيه سلكًا ثم استصفيته نظرت إلى السلك من وراء الحجر". [حادي الأرواح]

أما ريحها وضوءها فإنْ ظهر على أهل الدنيا لغيّرها كلها، كما أخبرت بذلك الأحاديث الصحاح، فعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: ((ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأته ريحًا، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا

وما فيها))[البخاري]، ومما جاء في وصف صفائها وجمالها قول النبي ﷺ: ((ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن))[متفق عليه]، إنه صفاء على صفاء ونور على نور، فأين الخاطبون لهذا النعيم؟!

❑ (فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ)

وأما الاستمتاع بنساء الجنة فقد أخبرنا الله عنه، فقال: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ۝ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ﴾[يس] قال ابن جرير: "عن عبد الله بن مسعود، في قوله ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ﴾ قال: شغلهم افتضاض العذارى، وقال أيضًا: عن ابن عباس ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ﴾ قال: افتضاض الأبكار، وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال كما قال الله جلّ ثناؤه: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ وهم أهلها ﴿فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ﴾ بنعم تأتيهم في شغل، وذلك الشغل الذي هم فيه نعمة، وافتضاض أبكار، ولهو ولذة، وشغل عما يلقى أهل النار".[التفسير]

وللمؤمن خيمة عظيمة يمرّ فيها على أزواجه من الحور، كما قال نبينا محمد ﷺ: ((إنَّ في الجَنَّةِ خَيْمَةً مِن لُؤْلُؤَةٍ مُجَوَّفَةٍ، عَرْضُها سِتُّونَ مِيلًا، في كُلِّ زاوِيَةٍ مِنْها أهْلٌ، ما يَرَوْنَ الآخَرِينَ، يَطُوفُ عليهمُ المؤْمِنُونَ)). [صحيح البخاري]

❑ تنويه:

وبقي أن ننوه إلى أمر يتبادر إلى الأذهان كثيرًا في مثل هذه المواطن، وهي مسألة التفاضل بين نساء الدنيا الصالحات، ونساء الجنة من الحور، فغالب الأحاديث حول ذلك متكلَّم فيها، إلا أن بعض العلماء مالوا إلى تفضيل المسلمة الصالحة على الحور وعللوا ذلك بأن المرأة المسلمة مكلّفة من الله تعالى، بينما الحوراء غير مكلّفة وإنما هي نعيم من سائر نعيم الجنة، والذي ينشرح إليه الصدر في هذه المسألة بأنّ الله تعالى لم يدعُ عباده رجالًا ونساء إلى التنافس سوى في باب واحد هو باب الطاعات والقربات والمسارعة بالخيرات، وعليه رتّب التفاضل بين سائر العباد، ولم يأمرنا الشارع الحكيم ببحث التفاضل بين نساء الدنيا والحور، ومعلوم أن الله تعالى عدل لطيف في حكمه.

والمرأة المسلمة مأمورة أن تكون عونًا لزوجها على تكاليف التوحيد والجهاد، فتكون سرّه وستره وردءه، وأن تصبر وتحتسب فتنال بذلك أعلى الدرجات في أعلى الجنات بإذن الله تعالى، وإن من أخبار نساء المجاهدين وعوائلهم في الصبر والثبات ما يفاخر به المرء الثقلين إنسًا وجنًا، وليس المقام لسرده ولكن اقتضى المقال التنويه تذكيرًا.

وعودًا على بدء، فقد بان للمسلم نعيم الجنة بما فيه، فأين المشمر لهذا النعيم المقيم وذاك الجمال العظيم وتلك السعادة الأبدية..؟! فأسرِع أُخَيَّ، واستعذب كل مشقة في هذه الدار؛ لتكون من الفائزين في دار القرار، والله تعالى نسأل أن يتوفانا على الإيمان ويدخلنا الجنان.

فصل

–أعظم نعيم الجنة–[١]

للجنان توق في قلوب المؤمنين، وحرارة شوق لا تنطفئ إلا بنزولها، وخوف لا يزول إلا بدخولها؛ فذاك الأمن، وعندما يرون الموت يموت أمامهم؛ تلك بشرى الخلود، ثم يحل عليهم ما هو أكبر من ذلك كله

١– العدد ٣٨١

بالرضوان التام من المِلِك المنان، ثم تُفرج عنهم الحُجُب؛ ليبصروا أعظم النعيم بالنظر إلى وجه الرب الرحيم، حيث لا نعيم بعده ولا سعادة وراءه ولا لذة سواه، إنها رؤية خالق الجمال سبحانه وتقدس، فنسأل الله أن يرزقنا لذة النظر إلى وجهه الكريم في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضله.

وفي هذا الفصل[١] نختم هذا الكتاب بحياة الجنة وأعظم ما يجدونه فيها من النعيم المقيم.

❑ حياة أهل الجنة وتزاورهم

إن أهل الجنة في نعيمهم يتأملون ويطّلعون من علٍ على ما هم فيه من الملك ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾[الإنسان]، وقال سبحانه: ﴿عَلَى الأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾[المطففين]، قال الطبري رحمه الله: "على السرر في الحجال من اللؤلؤ والياقوت ينظرون إلى ما أعطاهم الله من الكرامة والنعيم، والحَبْرة في الجنان".[التفسير]

١- في الأصل: "في هذا المقال نختم هذه السلسلة".

ومن نعيم الجنة أن يُجمع المؤمن بأهله وأحبابه، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾[الطور]، قال ابن كثير: "يخبر تعالى عن فضله وكرمه، وامتنانه ولطفه بخلقه وإحسانه: أن المؤمنين إذا اتبعتهم ذرياتهم في الإيمان يُلحقهم بآبائهم في المنزلة وإن لم يبلغوا عملهم، لتقر أعين الآباء بالأبناء عندهم في منازلهم، فيجمع بينهم على أحسن الوجوه، بأن يرفع الناقص العمل، بكامل العمل، ولا ينقص ذلك من عمله ومنزلته، للتساوي بينه وبين ذاك؛ ولهذا قال: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾".[التفسير]

وكذا يتزاور المتحابون في الله، فعن أبي أمامة قال: سئل النبي ﷺ أيتزاور أهل الجنة؟ قال: ((يزور الأعلى الأسفل ،ولا يزور الأسفل الأعلى إلا الذين يتحابون في الله عز وجل، يأتون منها حيث شاؤوا على النوق محتقبين الحشايا)).[معجم الطبراني]

وإذا التقوا فإنه يلتقون بالسلام وأطيب الكلام حيث نعيم الأُذُن بألا تسمع إلا كل محبوب، قال تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا﴾[النبأ] قال البغوي: "﴿لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾: باطلًا من الكلام ﴿وَلا كِذَّابًا﴾: تكذيبًا، لا يكذب بعضهم بعضًا"[التفسير]، وقال تعالى:

﴿لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا تَأْثِيمًا ۝ إِلَا قِيلًا سَلامًا سَلَامًا﴾[الواقعة]، قال ابن كثير: "أي: لا يسمعون في الجنة كلامًا لاغيًا، أي: غثًا خاليًا عن المعنى، أو مشتملًا على معنى حقير أو ضعيف، كما قال: ﴿لا تَسْمَعُ فِيهَا لاغِيَةً﴾[الغاشية]، أي: كلمة لاغية ﴿وَلَا تَأْثِيمًا﴾ أي: ولا كلامًا فيه قبح، ﴿إِلا قِيلًا سَلَامًا سَلامًا﴾ أي: إلا التسليم منهم بعضهم على بعض، كما قال: ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ﴾[إبراهيم] وكلامهم أيضًا سالم من اللغو والإثم". [التفسير]

وقال تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾[مريم]، قال الطبري: يقول تعالى ذكره: لا يسمع هؤلاء الذين يدخلون الجنة فيها لغوًا، وهو الهَذْي والباطل من القول والكلام، وروى عن زهير بن محمد، في قول الله: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ قال: ليس في الجنة ليل، هم في نور أبد، ولهم مقدار الليل والنهار، يعرفون مقدار الليل بإرخاء الحجب وإغلاق الأبواب، ويعرفون مقدار النهار برفع الحجب، وفتح الأبواب. وقال عن قتادة، قوله: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ فيها ساعتان بكرة وعشيّ، فإن ذلك لهم ليس ثم ليل، إنما هو ضوء ونور". [التفسير]

❑ سماع أهل الجنة

ولأهل القرآن مزيّة في الجنة، حيث يقرؤون ويرتقون، ويستمع إليهم أهل الجنة، وصاحب القرآن الذي تعلمه وعمل به يقال له في الجنة اقرأ، فيقرأ وتكون درجته بحسب قراءته، فعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: ((يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها)).[أبو داود]

وإن داوود عليه السلام يشنّف الأسماع بقراءته في الجنة، ففي قوله عز وجل: ﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ نقل ابن كثير عن ابن أبي حاتم بسنده قال: "يقيم الله سبحانه داود عند ساق العرش فيقول: "يا داوود، مجدني اليوم بذلك الصوت الحسن الرخيم، فيقول: إلهي، كيف أمجدك وقد سُلبته في دار الدنيا، قال: فيقول الله عز وجل: فإني أرده عليك، قال: فيرده عليه، فيزداد صوته، قال: فيستفرغ صوت داوود نعيم أهل الجنة".[التفسير]

ولهم صنوف من السماع الجميل في الجنة، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ۝ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾[الروم] قال الطبري: "يقول: فهم في الرياحين والنباتات

الملتفة، وبين أنواع الزهر في الجنان يُسرون، ويلذّذون بالسماع وطيب العيش الهنيّ، وإنما خصّ جلّ ثناؤه ذكر الروضة في هذا الموضع، لأنه لم يكن عند الطرفين أحسن منظرًا، ولا أطيب نشرًا من الرياض. وذكر عن يحيى بن أبي كثير أنه قال: الحبرة: اللذة والسماع". [التفسير]

❑ (فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ)

وحتى تقر أعين المؤمنين في الجنة فإنهم يرون ما حل بالكفار، فيضحكون منهم كما كان الكفار في الدنيا يضحكون من المؤمنين المستضعفين ويستهزؤون بهم، قال الله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ۝ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ۝ هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المطففين]، قال الطبري: "عن ابن عباس، قوله: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ۝ عَلَى الأرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾ قال: يعني: السُّرر المرفوعة عليها الحِجال. وكان ابن عباس يقول: إن السور الذي بين الجنة والنار يُفتح لهم فيه أبواب، فينظر المؤمنون إلى أهل النار، والمؤمنون على السرر ينظرون كيف يعذّبون، فيضحكون منهم، فيكون ذلك مما أقرّ الله به أعينهم، كيف ينتقم الله منهم". [التفسير]

❑ سوق الجنة

ولأهل الجنة سوق لكنه ليس كأسواق الدنيا، فلا صخب فيه ولا لغو، عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: ((إن في الجنة لسوقًا يأتونها كل جمعة، فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم فيزدادون حسنًا وجمالًا، فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسنًا وجمالًا، فيقول لهم أهلوهم: والله لقد ازددتم بعدنا حسنًا وجمالً، فيقولون: وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسنًا وجمالًا))[مسلم]، وفي بعض الروايات أنهم يحملون لهم ما اشتهوا وليس يباع فيه ولا يشترى، وفي ذلك السوق يلقى أهل الجنة بعضهم بعضا.

❑ (لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ)

وعلامة الخلود وبشراه حين يرون نهاية الموت بأعينهم، قال الله تعالى: ﴿آمِنِينَ ۝ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾[الدخان]، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح فينادي مناد يا أهل الجنة فيشرئبون وينظرون فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت، وكلهم قد رآه، ثم

ينادي: يا أهل النار فيشرئبون وينظرون فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت، وكلهم قد رآه، فيذبح ثم يقول: يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت)).[متفق عليه]

❑ (وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ)

وبعد سعادة أهل الجنة بعد أن أُعطوا الخلود فإنهم يُكرمون بما هو أكبر من دخولهم الجنة، قال الله تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[التوبة]، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: ((إن الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة؟ فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من خلقك، فيقول: أنا أعطيكم أفضل من ذلك، قالوا: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا))[متفق عليه]. فهنيئًا لمن سمع من ربه حلول الرضوان الأكبر، فأين العاملون..؟!

ويسلم عليهم ربك سبحانه وهم في جناتهم ومساكنهم كما قال سبحانه وتعالى: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ﴾[يس]، فيأخذ بهم هذا السلام فلا يلتفتون إلى أي نعيم حينئذٍ.

❑ (إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ)

وختام النعيم وأكمله وأعظمه والذي لا نعيم أتم منه؛ هو النظر إلى وجه ربك الذي تصلي له وتسجد وتجاهد في سبيله وتؤذى في سبيله وتصبر في سبيله، تراه بعد هذه الرحلة الطويلة الشاقّة، وما يراه إلا المؤمنون الموحدون المتمسكون بنهج أهل السنة، إنها آخر النعيم وأعلاه، إذ يُعطى العباد قوة أن يروا ربهم الرحمن الرحيم جل جلاله وإلا لما استطاعوا، قال الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ۝ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[القيامة]، قال ابن كثير: "﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾ من النضارة، أي حسنة بَهِيَّة مشرقة مسرورة، ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ أي: تراه عيانا. وقال عن الحسن: "﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾ قال: حسنة، ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ قال تنظر إلى الخالق، وحُقّ لها أن تَنضُر وهي تنظر إلى الخالق".[التفسير]

وقال تعالى: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾[ق]، قال الطبري: "وقيل: إن ذلك المزيد: النظر إلى الله جلّ ثناؤه"[التفسير]، وقال جل جلاله: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾[يونس]، وروى النسائي عن صهيب قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ قال: ((إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، نادى منادٍ: يا أهل الجنة، إن لكم عند ربكم موعدًا يريد أن ينجزكموه، قالوا: ألم يبيّض وجوهنا ويثقل موازيننا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب فينظرون إليه، فوالله ما أعطاهم الله شيء أحب إليهم من النظر إليه ولا أقر لأعينهم)).

وقال الشافعي في قوله عز وجل: ﴿كَلا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾[المطففين] قال: فيها دليل على أن أولياء الله يرون ربهم يوم القيامة.[حادي الأرواح]

وجاء في السنة ذكر هذه الرؤية، فعن جرير بن عبد الله قال كنا عند النبي ﷺ إذ نظر إلى القمر ليلة البدر فقال: ((أما إنكم سترون ربكم كما ترون هذا لا تضامون أو لا تضاهون في رؤيته)).[متفق عليه]
ومعنى تضامّون أي: لا ينضم بعضكم إلى بعض ولا يقول أرنيه بل كل ينفرد برؤيته، ولا تتزاحمون فيها كما أنكم ترون القمر كلكم رؤية

واحدة. وفي رواية في الصحيحين أيضًا: أن الناس قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: ((هل تضارون في القمر ليلة البدر))، قالوا: لا يا رسول الله، قال: ((فهل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب))، قالوا: لا يا رسول الله قال: ((فإنكم ترونه كذلك يجمع الله الناس يوم القيامة)).

وساق ابن جرير بسنده إلى أنس رضي الله عنه –عند اجتماع العباد لربهم– قال: "قال: ثم ناداهم الربّ عز وجل من وراء الحُجب: مرحبا بعبادي وزوّاري وجيراني ووفدي، أكلوا وشربوا وفكِهوا، وكسوا وطُيِّبوا، وعزتي لأتجلينّ لهم حتى ينظروا إليّ. قال: فذلك انتهاء العطاء وفضل المزيد؛ قال: فتجلى لهم الربّ عزّ وجلّ، ثم قال: السلام عليكم عبادي، انظروا إليّ فقد رضيت عنكم. قال: فتداعت قصور الجنة وشجرها، سبحانك أربع مرّات، وخرّ القوم سجدًا؛ قال: فناداهم الربّ تبارك وتعالى: عبادي ارفعوا رؤوسكم فإنها ليست بدار عمل، ولا دار نَصَب إنما هي دار جزاء وثواب، وعزّتي وجلالي ما خلقتها إلا من أجلكم، وما من ساعة ذكرتموني فيها في دار الدنيا، إلا ذكرتكم فوق عرشي". [التفسير]

فهذا منتهى النعيم الذي يجده أهل الجنة، وهنا منتهى سلسلتنا هذه، والحمد لله على فضله، ولا يكونن منتهى المجاهد هذه الصفحات في تذكّر نعيم الجنة، بل عليه أن يتدبر آي القرآن الواصفة لذلك النعيم، وكذا أحاديث النبي ﷺ، ولتكن الجنة أمامه فهي مُحفِّزُه للتضحية ومُسلِّيهِ في الشِّدة، ولتكن الشهادةُ خير غائبٍ عنه وأشرف مطلوب له.

اللهم أدخلنا الجنة، وارزقنا الفردوس الأعلى من الجنة، ومُنّ علينا بالشهادة في سبيلك مقبلين غير مدبرين، والحمد لله رب العالمين.



فهرس